البرّ بالضم منافعه وخيره بالاضافة الى سائر الجيوب ومنه رجل بار وبر وكرم بر والابرار فالبر كلمة جامعة لجميع انواع الخير والكمال المطلوب من العبد وفي مقابلته الاثم وفي حديث النواس بن سمعان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جئت تسأل عن البر والاثم فالاثم كلمة جامعة للشر والعيوب التي يذم العبد عليها فيدخل في مسمى البر بر الايمان واجزاءه الظاهرة والباطنة ولا ريب ان التقوى جزء هذا المعنى واكثر ما يعبر بالبر عن بر القلب وهو وجود طعم الايمان فيه وحلاوته وما يلزم ذلك من طمأنينته وسلامته وانشراحه وقوته وفرحه بالايمان فان للايمان فرحة وحلاوة ولذاذة في القلب فمن لم يجدها فهو فاقد للايمان او ناقصه وهو من القسم الذين قال الله عز وجل فيهم قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم فهؤلاء على اصح القولين مسلمون غير منافقين وليسوا بمؤمنين اذ لم يدخل الايمان في قلوبهم فيباشروها حقيقته وقد جمع الله تعالى خصال البر في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاخبر سبحانه ان البر هو الايمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهذه هي اصول الايمان الخمس التي لا قوام للايمان الا بها وانها الشرائع الظاهرة من اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنفقات الواجبة والصالحة وانه الاعمال القلبية التي هي حقائقه وشرائعه والاعمال المتعلقة بالجوارح والقلب واصول الايمان الخمس ثم اخبر الله سبحانه عن هذه هي خصال التقوى بعينها فقال اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون واما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ايمانا واحتسابا امرا ونهيا فيفعل ما امر الله به ايمانا بالامر وتصديقا بموعده ويترك ما نهى الله عنه ايمانا بالنهي وخوفا من وعيده كما قال طلق بن حبيب اذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى قالوا وما التقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله وهذه من احسن ما قيل في حد التقوى فان كل عمل لا بد له من مبدا وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الايمان فيكون الباعث عليه هو الايمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه ونحو ذلك بل لا بد ان يكون مبدأه محض الايمان وغايته ثواب الله تعالى وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب ولهذا كثيرا ما يقرن بين هذين الاصلين في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا ونظائره فقوله على نور من الله اشارة الى الاصل الاول وهو الايمان الذي هو مصدر العمل والسبب الباعث عليه وقوله ترجو ثواب الله اشارة الى الاصل الثاني وهو الاحتساب وهو الغاية التي لاجلها يوقع العمل ولها يقصد به ولا ريب ان هذا الجميع اصول الايمان وفروعه وان البر داخل في هذا المسمى واما عند اقتران احدهما بالآخر كقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فالفرق بينهما فرق بين السبب والمقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها فان البر مطلوب لذاته اذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بد ونه كما تقدم واما التقوى فهي الطريق الموصل الى البر والوسيلة اليه ولفظها يدل على هذا فانها فعل من وقى يقي وكان اصلها وقوى فقلبت الواو تاء كما قالوا تراث من الورث وتجاه من الوجه وتخمة من الوخم ونظائره ولفظها من باب تحصيل النفع والتقوى كالحمية والبر كلفظها . . . . .